ياكوف بيرلمان... 9 حكايات قبل الموت جوعا

لم يكن البرد في ستالينغراد بردًا عاديًا. كان بردًا يُفكّر... يزحف ببطء، ويختار ضحاياه دون عجلة.

في قبو نصف منهار، تحت مدرسة لم يبقَ من اسمها سوى لوح خشبي محترق، جلس ياكوف بيرلمان بسنواته الستين محاطًا بنحو ثلاثين طفلًا. أعمارهم مختلفة، لكن عيونهم متشابهة:

عيون تعرف الجوع أكثر مما تعرف اللعب. لم يكن معهم طعام. ولا شمعة. ولا خطة واضحة للهروب.

لكن بيرلمان، الرجل النحيل الذي صار عظمه أثقل من جسده، كان

يحمل شيئًا واحدًا: ذاكرة ممتلئة بالحكايات.

قال بصوت خافت، وكأنه يخشى أن يسمعه الجوع نفسه:
«هل تعرفون لماذا يُطفئ الماء النار؟»

الحكاية الأولى: لماذا يخاف اللهب من الماء؟

شرح لهم ببساطة، بلا معادلات، كيف يتحول الماء إلى بخار، وكيف يسرق الحرارة من النار كما يسرق اللص رغيفًا.
ثم ابتسم ابتسامته القديمة:
«والأغرب... أن النار أحيانًا لا تُهزم إلا بنار أخرى». وحكى لهم عن رجال الغابات الذين

يشعلون حريقًا صغيرًا ليوقفوا حريقًا هائلًا.
ضحك الأطفال.
ضحكة قصيرة... لكنها حقيقية.
في تلك الليلة، لم يشعروا بالدفء،
لكنهم نسوا البرد لدقائق.
حين هدأ القصف، خرجوا بين الأنقاض.
خطواتهم كانت حذرة، كأن الأرض نفسها قد تنفجر إن داسوها بقوة.
عند صنبور صدئ، توقّفوا.
الماء كان باردًا كالموت... لكنه ماء.
قال بيرلمان وهو يملأ زجاجة:

هـــــل يمكن للمـــــاء المغلي أن يُغلي ماءً آخر؟»

الحكاية الثانية: حين يعجــز الغليان

حكى لهم عن زجاجة داخل قدر يغلي،

وكيــف يصــل المــاء إلى مئــة درجة... ثم يتوقف.

«لكن انتظــروا... هــل تعرفــون أن الثلج يمكنه أن يجعــل المــاء يغلي؟»

تعالت همهمات الدهشة.

وفي العيــون المرهقــة، اشــتعل فضـــول صـــغير... أقـــوى من الجوع للحظة.

واصلوا السير.

في حفرة قذيفة قديمة، اختبأوا من رصاص طائش.
رفع بيرلمان عينيه إلى السقف المنهار وقال:
«تخيلوا لو حفرنا حفرة تصل إلى الطرف الآخر من الأرض... وقفز أحدكم فيها».

الحكاية الثالثة: نفق إلى قلب العالم

حكى لهم عن السقوط، والتباطؤ، والعودة. عن الأرض التي لا تبتلع أبناءها... بل تعيدهم.
طفل صغير سأل: «هل نعود فعلًا؟»
أجاب بيرلمان: «في الفيزياء... نعم.

وفي الحياة... أحيانًا».
مـــع اقـــترابهم من أطـــراف المدينـة، ظهـرت عربـة يجرهـا حصانان.
جلسوا ينتظرون.
الصمت كان ثقيلًا.
قـال بيرلمـان: «هـل تعرفـون القِلة؟ أو الكارازا؟»

الحكاية الرابعـة: مـاء أبـرد من الصيف

حكى عن الفخـــار، والتبخـــر، والهواء الجاف.
كيـف يمكن لشـيء بسـيط أن يصنع فرقًا كبيرًا.
«العلم لا يحتـــاج دائمًـــا إلى كهربـاء... أحيانًـا يحتـاج صـبرًا فقط».

طفلة كانت تحمل بيضة وجدتها في الخراب.
سألت: «هل ستنكسر؟»

ابتسم بيرلمان.

الحكاية الخامسة: البيضة التي لا تُكسر

شرح لهم لماذا تحمي القشرة ما بداخلها.
وكيف أن الشكل أحيانًا أقوى من القوة.
نظر إلى الأطفال وقال: أنتم أيضًا... أقوى مما تظنون».
في المساء، لمع برق بعيد.
قال أحدهم بخوف: «كم هو قوي»

الحكاية السادسة: ثمن البرق

حكى لهم عن ملايين الفولتات، ثم ضحك: «لكن ثمنه أقل من رغيف خبز».
ضحكوا...
رغم أنهم لم يذوقوا الخبز منذ أيام.
اقتربوا من بوابة الخروج.
قال بيرلمان: «أرخميدس قال: أعطني نقطة ارتكاز...»

الحكاية السابعة: الطفل الذي أوقف سفينة

حكى لهم كيف يمكن لطفل أن يوقف باخرة.
ليس بالقوة... بل بالاحتكاك.

قبل الوداع، أخرج قرصًا خشبيًا صغيرًا.

الحكاية الثامنة: الصورة التي لا تُرى

حكى عن قرص نيبكوف.

كيف تخدع العين نفسها.

«أحيانًا... لا نرى الأشياء لأنها تمر بسرعة الألم».

وصل الأطفال إلى الأمان.

التفتوا... لم يجدوه.

عاد ياكوف بيرلمان إلى المدينة.

في جيبه دفتر صغير.

وفي جسده جوع كبير.

قال له رفيق: «لماذا لا تكتب عن الجوع؟»

أجاب بصوت مكسور: ستكون هذه الحكاية التاسعة لهذه الليلة ولكن الجوع ليس مسألة فيزيائية... إنه مسألة عدل فالجواب هو الظلم. سيموت آخرون جوعًا، لا لأنهم لا يملكون طعامًا، بل لأنهم يعيشون في عالم ظالم."

وبعد أيام قليلة، مات ياكوف بيرلمان جوعًا... لكن كتبه لم تمت

ما زال الأطفال في العالم يضحكون من تجاربه، ويتعلمون من حكاياته كيف يمكن للعلم أن يكون شمعة في ليل الحرب بعد أيام، مات ياكوف بيرلمان جوعًا. لكن في مكانٍ ما... طفل يشعل

فضوله بسؤال. وهذا... كان انتصار بيرلمان الأخير.

كتــاب الفيزيــاء المســلية من كتب الأساطير إذا جاز التعبير كنــا نبحث عنــه منــذ إن عشــقنا العلــوم وحب الفيزياء ولاتمر أيام قليلة حتى أجد نفسي في سور الأزبكية سائلا عنه حتى جاء هذا اليوم ووجدت نســخة من الكتــاب بعــد إن بخــل الكثــير عـــني بفرصـــة قراءتـــه ولكـــني اهتممت بنقلـــه إلى الجميـــع من خلال كتابتــه في حلقــات وعنــدما دخلنا عالم الإنترنت كانت الفرصــة متاحة لنشر الكتاب للجميــع ولكــل المهتمين بـــالعلوم والفيزيـــاء على وجــه الخصــوص واليــوم أقــدم لكم قصـــة عن يـــاكوف بيرلمـــان في

ساعاته الأخيرة قبل أن يموت جوعا ويترك لك نورا وكنزا أسمه كتاب الفيزياء المسلية، هذا الكتاب لايزال يحتفظ بالحيوية والرشاقة كما لو كان شابا قويا يرفض الهرم وترجع عبقرية هذا الكتاب في قدرة المؤلف على الربط الممتع بين مظاهر الحياة العادية التي يعيشها الناس وبين قوانين الفيزياء بطريقة سهلة وممتعة لا تخلو من الطرافة والأسئلة المدهشة التي تجعل القارئ العادي يتابعه منذ البداية للنهاية دون ملل ليكون في النهاية وجبة علمية سهلة للشباب والمهتمين في كل مكان وعبر كل العصور.

تمت

ياكوف إسيدورفيتش بيرلمان، أو ياكوف إ. بيرلمان، أو كما يعرف اختصارًا باسم ياكوف بيرلمـان (4 ديسـمبر، 1882 -ـ 16 مـارس، 1942) (بالروسـية: Яков Исидорович Перельман) مؤلف أدبيات علميـة روسي. من أشهر أعمالـه كتـابي "الفيزيـاء المسـلية"، و"الرياضيات المسلية" اللذان تُرجما من الروسـية إلى لغات كثيرة من بينها اللغة العربية. ولد ياكوف بيرلمان عام 1882 في قرية بيلستوك التابعة لبولونيـا الحاليـة. حصل على دبلوم علوم الغابات من معهـد الغابـات في مدينـة سـانت بطرسـبرغ. تـوفي بيرلمـان عـام 1942 بسبب المجاعة خلال حصار ليـنينغراد من قبـل الجيش الألماني.